كشف أسرار الباطنية

وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم

للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل

الحمادي اليماني

المتوفى نحو ٤٧٠هـ = نحو ١٠٧٧ م

دراسة وتحقيق

محمد عثمان الخشت

مكتبة الساعي

الرياض تلفون ٤٢١٥٦٣٦-٤٢١١٤٣٤

ص.ب ٥٠٦٤٩ - الرياض : ١١٥٣٣

جميع الحقوق محفوظة للناشر

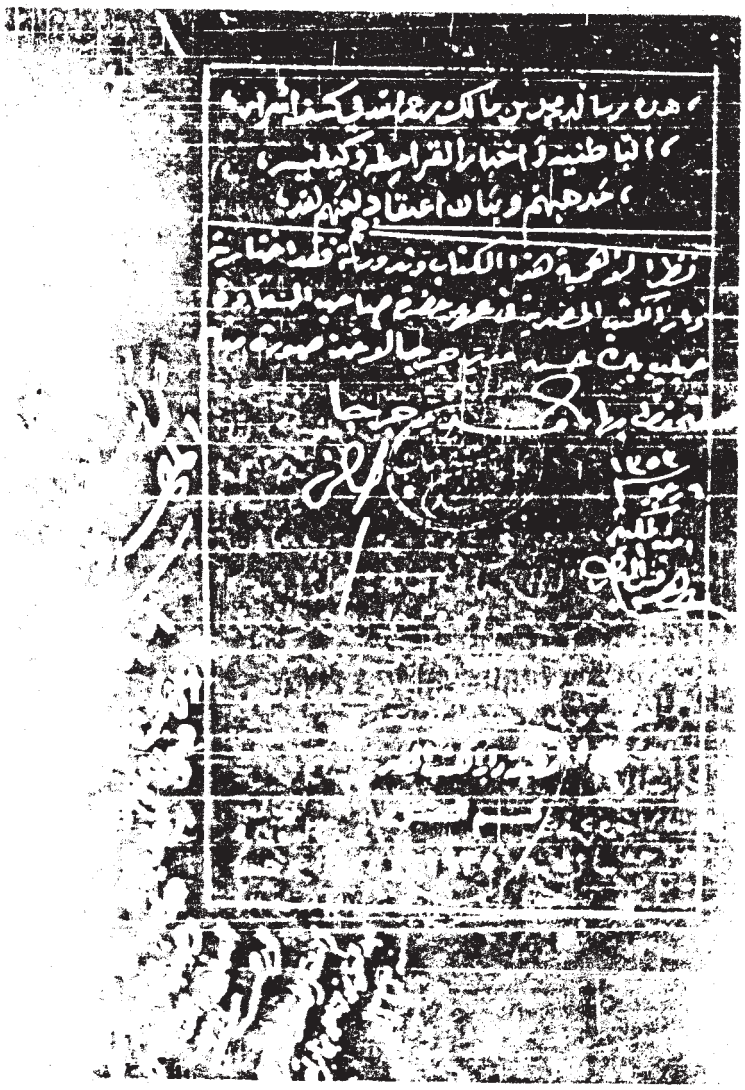

الصفحة الأولى من المخطوط

دراســـــة التحقيق
المؤلف والكتـــــاب

- حياة المؤلف الفكرية .
- مضمون الكتاب .
- منهج الكتاب .
- أسلوب الكتاب .
- التصنيف فى المذاهب الباطنية قبل محمد بن مالك .
- منهج التحقيق .

دراســـة التحقيق
المؤلف والكتـاب

● **حياة المؤلف الفكرية :**

مؤلف هذ الكتاب هو محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى ، من أهل اليمن ، وقد عاش فى أواسط القرن الخامس الهجرى (... ـ نحو ٤٧٠ هـ = ... ـ نحو ١٠٧٧ م) .

وللأسف لم تسجل أى من المظان التاريخية شيئاً عن حياته يتجاوز ماذكره هو فى كتابه « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ، ولم يأتنا أى كتاب آخر له باستثناء هذا الكتاب .

وكما يتضح من سياق كلامه فى الكتاب المذكور أنه كان معاصراً للدولة الصليحية فى اليمن ، وعاش حتى نحو عام ٤٧٠ هـ ، ففى نهاية الكتاب مايدل على أنه مات بعد زواج الحرة « أروى بنت أحمد » بالمكرم الصليحى أحمد بن على ، وليس فيه مايشير إلى إدراكه وفاة على بن محمد سنة ٤٧٣ هـ ، فقد عاصر عهد الإمام المستنصر من خلفاء الفاطميين بمصر ، بدليل أن آخر إمام ذكره من أئمة الفاطميين كان هو هذا الرجل .

وقد كان فى بدء حياته الفكرية على طريقة أهل السنة والجماعة ، حتى نشأت الدولة الصليحية القرمطية ، فكان يسمع عن معتقدات مؤسسها أبى الحسن على بن محمد الصليحى ، وأغلب ما كان يسمعه عنه كلاماً سيئاً ينتقد معتقداته بشدة ، بل ويكفره ويكفر مايصدر عنه من أعمال وسلوكيات ، وبحكم ما كان يتحلى به محمد بن مالك ـ كما يبدو ـ من موضوعية لم يكن يصدق مايسمعه أو يكذبه ؛ لأن الذين كانوا يتحدثون لم يكن لديهم دليل يبرهنون به على صدق

دعاويهم، فقرر أن يدخل إلى مذهب الصليحى القرمطى ، حتى يتبين له حقيقة الأمر، وبالفعل تظاهر باعتناق المذهب ، واطلع على كتبه اطلاع المتصفح، وهنا ظهر له مخالفة مارآه وسمعه وقرأه لعقيدة أهل السنة والجماعة مخالفةً عميقة، فعقد العزم على كتابة تجربته مع هذا التيار ، لكى يكشف النقاب عن الأسرار الخبيئة له ؛ فيعرف المسلمون ماهيته وتعاليمه ومدى اتساقها أو تناقضها مع القرآن والسنة كما يفهمهما أهل السنة والجماعة .

● **مضمون الكتاب :**

من المعلوم أن الباطنية فرق عديدة ، تتشابه فيما بينها فى الكثير وتختلف فى القليل ، والمؤلف لايتناول كل هذه الفرق ، وإنما يتناول فرقة واحدة فقط هى فرقة القرامطة ، بل لايتناول كل مايتعلق بهذه الفرقة تاريخياً وعقائدياً ، وإنما يعرض فقط لها كما ظهرت فى اليمن ، وإن كان أحياناً يعرج على بعض أخبارها فى مناطق أخرى .

وهو يبتدىء كلامه فى هذا المضمار ببيان تجربته مع القرامطة الصليحيين ، موضحاً أساليبهم وتكتيكاتهم فى الدعوة إلى مذهبهم ، وكيفية تدرجهم بالمستجيب شيئاً فشيئاً فى درجات ومراتب المذهب . ويكشف النقاب عن تعاليمهم ، وآرائهم ، وعقائدهم ، وسلوكياتهم .

ثم ينتقل إلى العرض التاريخى لأصل دعوة القرامطة ، وجذورها وتطورها ، فيتحدث عن ميمون القداح وعن ابنه ، ويذكر نشاطهما فى تأسيس الدعوة ونشرها ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أهم رجالاتها وناشريها فى العالم الإسلامى ، مثل : أبو سعيد الجنابى ، والحسن بن مهران ، وزكرويه بن مهرويه ، وعلى بن فضل ، والمنصور الحسن بن زاذان ، ويركز على تاريخ هذين الرجلين الآخرين ؛ لدورهما البارز فى

إدخال الدعوة القرمطية إلى اليمن ، وتأسيس دولة القرامطة فيها .

ويحرص أثناء العرض لتاريخ هؤلاء على إبراز تعاليم المذهب ، ويكثف الحديث عند ذكر الصراعات والمناوشات بين كتائب الحركة والجيوش المضادة .

وقرب نهاية الكتاب يذكر أولاد المنصور ، واستخلاف عبد الله بن عباس الشاورى وولايته الدعوة ، وعلاقته بعبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى شمال إفريقيا .

وآخر مايسجله فى كتابه : بيان ابتداء دولة الصليحيين وشىء من تاريخها ، ثم يختم بتحذير المسلمين من الوقوع فى شباكهم ومن الانخداع بتعاليمهم .

● **منهج المؤلف فى الكتاب :**

عندما يستقرىء المرء الكتب المصنفة فى مجال الفرق الباطنية ، يجد أن مصنفيها لم يخرجوا عن ثلاثة مناهج فى عرضهم لهذه الفرق ، هذه المناهج هى :

١ ـ المنهج الاستردادى : الذى يحرص منتهجوه على ردّ أفكار الباطنية ومعتقداتهم وكافة تعاليمهم ، إلى أصولها الفلسفية والدينية ، فيُظهرون ماأخذه مفكرو الباطنية عن المذاهب القديمة ، مثل : الهرمسية ، والأفلاطونية المحدثة ، والمانوية واليهودية ، وماإلى ذلك من فلسفات وديانات . كما يحرصون على كشف وسائلهم التى يتبعونها فى تحوير هذه الأفكار وتنميقها وتوظيفها بالشكل الذى يتلاءم مع أهدافهم .

٢ ـ المنهج البنيوى الجدلى : الذى يقتصر متبعه على بيان سمات مذهبهم ، ومبادىء دعوتهم ، وبنية عقائدهم ، ثم يعرج على محاجتهم

والجدال معهم ، محاولًا تصديع أركان عقيدتهم ، وإثبات خطأ منهجهم .

٣ ـ المنهج التأريخى : وهذا هو منهج المؤرخين ، الذين يوردون فى مصنفاتهم أخبار وتواريخ الحركة ، وكيفية ظهورها وانتشارها . ويذكرون أهم رجالها ودور كل منهم ومدى نجاحه أو إخفاقه ، مع التركيز على بيان حروبهم وصراعهم مع الفرق المضادة .

هذه هى المناهج الثلاثة التى ينتهجوها المصنفون فى هذا المضمار . وإذا ما أردنا معرفة موقع كتاب محمد بن مالك « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » من هذه المناهج ، أو معرفة موقع هذه المناهج من كتابه ، فلا شك أنه ينتمى إلى أصحاب المنهج الثالث : المنهج التأريخى .. فهو يذكر أخبارهم وتواريخهم وحروبهم ، وهذا هو الأساس والجوهر فى عمله ، وإن كان الأمر لا يخلو من التحويم حول جزء من المنهج الثانى ولكن من بعيد جداً .

● **أسلوب الكتـــاب :**

أسلوب المؤلف فى هذا الكتاب هو أسلوب السرد الحكائى ، وهو بسيط خالٍ من التعقيد ، موجز بعيد عن الإسهاب ، يخلو من أساليب الجدال ، ويفتقد إلى الحوار البرهانى ؛ ويقف عند حدود أسلوب الإقناع الخطابى ، ولا أدل على ذلك من أن المؤلف عندما يريد أن يفند رأياً من أرائهم أو ينقد فكرة من أفكارهم ، فإنه يكتفى بإعلان السخط ، والدعاء باللعن ، والحكم بالتكفير ، دون أن يورد الحيثيات البرهانية ، ولك أن تقارن فى هذا الصدد بينه وبين القاضى عبد الجبار أو الغزالى أو عبد القاهر البغدادى ، فيتبين لك البون الشاسع بينه وبينهم .

التصنيف فى مذاهب الباطنية وتاريخهم قبل محمد بن مالك :

سبق مؤلفون عديدون ـــ تاريخياً ـــ محمد بن مالك فى تصنيف الكتب عن الباطنية بفرقها المختلفة والرد عليها :

فقد قام أبو عبد الله بن رزام بتأليف كتاب فى الرد على الباطنية ، وذلك فى نهاية القرن الثالث ومطلع الرابع الهجرى .

ثم أرّخ لهم ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحرانى فى تاريخه الكبير ، وقد بدأ ثابت تأريخه لهم ولغيرهم من عهد الخليفة المقتدر المتوفى سنة ٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م ، ووصل بتاريخه حتى الأحداث التى وقعت قبل وفاته مباشرة سنة ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م .

ثم ألّف محمد الملطى المتوفى بعسقلان سنة ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م ، كتابه المشهور : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ، وتعرض فى جزء منه لعقيدة القرامطة وفقههم ، وتعاليمهم .

ثم جاء سعد بن محمد أبو عثمان الغسّانى القيروانى فى نهاية القرن الرابع الهجرى ، فألّف كتاباً عن الفرق ، أفرد جزءاً منه فى بيان معتقدات الباطنية والرد عليها .

كما صنف القاضى محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى ببغداد سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م كتابه الهام « كشف الأسرار فى الرد على الباطنية » ، (الذى أفاد منه ابن حزم ـ فيما بعد ـ فى كتابه « الفصل » ، والغزالى فى كتابه « فضائح الباطنية » .)

وقد كتب عنهم ورد عليهم القاضى عبد الجبار المتوفى بالرى سنة ٤١٥ هـ = ١٠٢٥ م ، وذلك فى كتابه القيم « تثبيت دلائل النبوة » .

ثم جاء إسماعيل بن على بن أحمد البستى ، الذى كان تلميذاً مرموقاً

للقاضى عبد الجبار ، وتوفى سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩م تقريبا، وألف كتابه « كشف أسرار الباطنية » الذى استعار اسمه محمد بن مالك مؤلف الكتاب الذى بين أيدينا .

وفى نفس هذه الفترة تقريبا صنف ابن سعيد الاصطخرى مؤلفاً فى بيان مذهب الباطنية والرد عليهم .

هذه ــ تقريباً ــ أهم الكتابات قبل الشيخ محمد بن مالك فى بيان فرق الباطنية والتأريخ لهم والرد عليهم ، ومؤلفوها إما إنهم من أهل السنة أو من المعتزلة .

وهناك تراث ضخم ألّفه رجال الباطنية أنفسهم قبل مجىء محمد بن مالك ، ولكنا فضلنا الاقتصار على ذكر المصنفات فى الرد عليهم ؛ لأن دراسة محمد بن مالك تنتمى إلى هذا النوع من المصنفات .

● **منهج التحقيق :**

اتبعت فى تحقيق هذا الكتاب المنهج الآتى :

١ ــ الاعتماد على مخطوطة دار الكتب المصرية ، والمصورة على ميكروفيلم برقم ٤٨٥١٨ أما المخطوطة نفسها فتحمل رقم « ١٠٤ » ومدرجة فى فن « التاريخ » .

٢ ــ تخليص النص من شوائب التصحيف والتحريف والأخطاء اللغوية وما إليها .

٣ ــ كتابة النص وفقاً لقواعد الإملاء المعاصرة ، وترقيمه بواسطة علامات الترقيم العصرية .

٤ ــ تنسيق الكتاب ، وتقسيمه إلى فقرات ، حتى يأخذ الشكل العصرى الذى يتلاءم مع مناهج الكتابة الحديثة .

٥ ــ شرح الألفاظ الغامضة والمصطلحات بالاعتماد على كتب اللغة والمعاجم والموسوعات .

٦ ــ بيان الأخطاء العلمية التى وقع فيها المؤلف ، مع ذكر الأدلة على التصويب .

٧ ــ التعليق على المواضع التى اقتضت التعليق .

٨ ــ التعريف بالأعلام الواردة فى متن الكتاب .

٩ ــ التعريف بالبلدان والحصون التي أشار إليها المؤلف .

١٠ ــ التقديم للكتاب بمقدمة عن المؤلف وكتابه الذى بين أيدينا « كشف أسرار الباطنية » .

وما توفيقى إلّا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ...

محمد عثمان الخُشْت

القاهرة فى : ربيع ثان ١٤٠٦هـ
ديسمبر ١٩٨٥م

كشف أسرار الباطنية

وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم

للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل

اليماني الحمادي

المتوفى نحو ٤٧٠هـ = نحو ١٠٧٧م

النص المحقق لكتاب

« كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم »